ملخص كتاب
اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية
جون ج. ميرشايمر- ستيفن م. والت
د. طه محمد والي*

فكرة الكتاب:

يركز الكتاب على نفوذ اللوبي اليهودي على السياسة الخارجية لأمريكا، وتأثيره السلبي في المصالح الأمريكية؛ فهو فرصة لتقديم بيان أكثر دقة وتفصيلًا وتحديدًا للوبي، ونقاشًا أكثر استفاضة لدور المسيحية الصهيونية، وسردًا أوسع شمولا لتطور اللوبي عبر الزمن؛ كما يرد الكتاب على الانتقادات التي رفعت ضد المقالة المنشورة، وأيضا معالجة الأثر الضار في المصالح الأمريكية والإسرائيلية، ومعاينة أحداث حرب العراق ولبنان، والرؤية لإيران وسوريا؛ كذلك عدّ الكتاب فرصة لمناقشة كيف يجب على أمريكا تقديم مصالحها في الشرق الأوسط؟ وكيف يجب على الأمريكيين وبقية شعوب العالم ودوله التفكير في شأن اللوبي الموالي لإسرائيل؟

أسئلة الكتاب:

في وقت مبكر من يناير 2007م من انتخابات الرئاسة الأمريكية أعلن أربعة مرشحين دعمهم لإسرائيل في مؤتمر هرتزليا الإسرائيلي السنوي حول قضايا الأمن، فكانوا يتنافسون حول من سيكون أكثر حدة في الدفاع عن الدولة اليهودية.

الأسئلة المطروح هنا هي: ما الذي يفسر هذا السلوك؟ لماذا يوجد هذا الحد الضئيل من الاختلافات بين أولئك الطامحين إلى الرئاسة فيما يتعلق بإسرائيل، بينما توجد اختلافات عميقة فيما بينهم تقريبا حول قضية مهمة أخرى تواجه أمريكا؟ لماذا تحصل إسرائيل على براءة ذمة من المرشحين الرئاسيين في الوقت الذي ينتقد مواطنوها سياساتها الراهنة؟ لماذا تحظى إسرائيل عنوة عن غيرها من دول العالم على مثل هذه المراعاة المسطرة من القادة السياسيين الأمريكيين؟

* د. طه محمد والي. الجامعة الأسمرية.

فرضية الكتاب:

إن إسرائيل تشكّل ورقة استراتيجية حيوية لأمريكا، فهي شريك لا يمكن الاستغناء عنه في الحرب على الإرهاب، وأيضًا ورقة أخلاقية كونها الدولة الوحيدة في المنطقة التي تشارك القيم الغربية نفسها.

بالمقابل هناك تغير في الموقف الأمريكي بعد الحرب الباردة يرى أن إسرائيل أصبحت عبئًا استراتيجيًا على أمريكا، وأن القضية الأخلاقية الملزمة لعلاقة أمريكا أصبحت قابلة للتمحيص مع إسرائيل، ومن ثم فالسبب الحقيقي لدعم إسرائيل والتزام الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدتها في حال تعرض وجودها للخطر، لا يقوم على أساس أخلاقي فقط، بل يكمن في قوة اللوبي الإسرائيلي داخل معظم مراكز القرار في الإدارة الأمريكية، المشكّل من مجموعة مصالح قوية مؤلفة من يهود وأمريكيين معا، هدفها المتعارف عليه دفع قضية إسرائيل داخل أمريكا، والتأثير في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال وسائل يعتقد أعضاؤها أنها مفيدة للدولة اليهودية.

رؤية الكاتبان لإسرائيل وعلاقتها بأمريكا:

إنّ التساؤل حول ممارسات اللوبي الإسرائيلي وتشاعبه قد يبدو للبعض معادلة للتشكيك في شرعية إسرائيل نفسها، أو تحاملًا ضمنيًّا ضد إسرائيل، بل على العكس، فتاريخ الشعب اليهودي ومعايير حق تقرير المصير توفر تبريرًا كافيا للدولة اليهودية، كما على الولايات المتحدة أن تبقى على استعداد لأن تهبّ لنجدة إسرائيل، إذا ما تعرض بقاؤها للخطر، لكن على الرغم من التركيز الأساس على الواقع السلبي للوبي اليهودي على الساحة الخارجية الأمريكية، فإن نفوذه أصبح مضرًّا بإسرائيل أيضًا، وفي المقابل فإن التاريخ الطويل من الاضطهاد، يبين أنّ اليهود الأمريكان حساسون تجاه أي تصرف يبدو فيه كأن أحدا ما يلومهم على ما يصيب السياسات من انحراف، كما أنه من المشروع تمامًا أن يكون لأي أمريكي ارتباط بدولة أجنبية، بل من المسموح أن يمتلك الأمريكيون جنسية مزدوجة، وأن يعملوا في جيوش أجنبية، بشرط عدم عداء هذه الدولة لأمريكا.

ويقرّ الكاتبان –أيضاً– أن اللوبي ليس بدسيسة أو مؤامرة، فهو منخرط في سياسات مجموعات المصالح القديمة العهد، وفى المسعى نفسه الذي تسعى إليه مجموعات مصالح أخرى.

هدف الكتاب:

يهدف الكتاب إلى تسليط الضوء على حجم المساعدات غير العادية المقدمة من قبل الولايات المتحدة إلى إسرائيل، وأن اللوبي هو السبب الرئيس لهذا الدعم، وأن هذه العلاقة غير المشروطة التي لا تخضع للنقد ليست من المصلحة القومية الأمريكية.

محتويات الكتاب

الفصل الأول (المحسن الكبير)

يتناول هذا الفصل توصيف المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي تقدمها أمريكا إلى إسرائيل، بالإضافة إلى المساندة الدبلوماسية التي وفرتها أمريكا في مراحل الحرب والسلم التي مرت فيها الدولة العبرية.

إن هذه الأموال التي يقدمها دافعو الضرائب قد دعمت تطور الاقتصاد الإسرائيلي، وأنقذته من أزمات مالية، أما المساعدات العسكرية فقد قوّت إسرائيل زمن الحرب، وساعدتها على الحفاظ على سيطرتها العسكرية في الشرق الأوسط (حتى عام 2005 بلغت المساعدات الاقتصادية لإسرائيل 154 مليار دولار معظمها منح مباشرة بدلًا من قروض)، وهنا يؤكد النائب الديمقراطي "لي هاملتون"(أن الرقم السنوي يفوق في الواقع 4.3 مليار دولار، وهذا يرجع إلى أن الإدارة الأمريكية تنتهي بدفع فوائد إضافية لإسرائيل عندما تعيد إسرائيل استثمار الجزء الذي لم تصرفه في سندات الخزانة الأمريكية، فمثلًا هذا التحول المبكر للتمويل العسكري الخارجي مكن إسرائيل بدءا من عام 2004م من كسب نحو 600 مليون دولار فوائد إضافية)، كما أن إسرائيل في أوقات الأزمات تحصل على معونات ومساعدات (مثلا: إقناعها بتطبيق اتفاق 1975م لفصل القوات بين مصر وإسرائيل مقابل ضمان حاجات إسرائيل من النفط في حالة الأزمة، أيضا دُفِعَ مبلغ 1.2مليار دولار مقابل دعم تطبيق اتفاق "واي بلانتيشن" لعام 1998م الذي وافقت إسرائيل بموجبه على الانسحاب من أجزاء من الضفة الغربية، ومليار دولار إضافية من التمويل العسكري الخارجي في 2003م لمساعدة إسرائيل على الاستعداد للحرب مع العراق، ثم وافقت أيضا في العام نفسه على جولة ثانية من ضمانات القروض بما مجموعه نحو تسعة مليارات

دولار لمساعدة إسرائيل على الاستعداد للحرب مع العراق والتعامل مع أزمة اقتصادية متمادية، وتغطية الكلفة التي فرضتها الانتفاضة الفلسطينية الثانية).

كذلك تحصل إسرائيل، إضافة إلى المساعدات الحكومية المدعومة، وضمانات القروض، على ما يقدر بملياري دولار سنويًّا من الهبات الشخصية من المواطنين الأمريكيين، نصفها تقريبا مدفوعات مباشرة، والنصف الآخر من خلال شراء سندات دولة إسرائيل.

في المقابل، يمكن وضع المساعدة الأمريكية لبعض الدول العربية ضمن سياق خدمة إسرائيل أيضا، كمصر والأردن، مكافأة على حسن السلوك، بتوقيع معاهدتي سلام معها، فمصر حصلت على 1.320 مليار دولار عام 1975م لفصل القوات، ارتفعت إلى 2.3 مليار دولار عام 1978م، ثم ارتفعت عام 1979م إلى 5.9 مليار، وبقيتْ بعد ذلك مليارا دولار سنويا. أما الأردن فقد حصل على 76مليون دولارا عام 1994م، وإعفاء للدين لدى أمريكا البالغ 700 مليون دولار، تمّ منذ عام 1997م.

أما الدعم العسكري، فإسرائيل لا تحصل على الباب الأول من الأسلحة الأمريكية، كالقنابل الذكية، وطائرات إف 15، وإف 16، بل أصبحت مرتبطة بالمؤسسات الدفاعية والاستخبارية الأمريكية، عبر حيز متنوع من الاتفاقات الرسمية، والروابط غير الرسمية، بل كان هناك إمدادات بنحو ثلاثة مليار دولار لتطوير أسلحة، كالطائرات والدبابات والصواريخ (مثال: مذكرة التفاهم الأمني مع أمريكا ضد السوفيات عام 1981م، والتدريبات العسكرية عام 1984م، والمشاركة في مبادرة الدفاع الاستراتيجية الأمريكية عام 1986م، والشراكة الوثيقة معها عام 1988م)، أيضا الاشتراك في مشاريع البحث والتطوير المشتركة، والمبادرات الأمريكية المناهضة للإرهاب، التي طورت عام 1996 بالخط الساخن بين وزارتي الدفاع، ومشروع تخزين الإمدادات العسكرية في إسرائيل لعام1989م، لتحسين قدرة البنتاغون على الرد سريعا على أية أزمة إقليمية – هنا يمكن استخدامها من قبل القوات الإسرائيلية في الحالات الطارئة، وقد استخدمت هذه المخزونات في حرب لبنان عام 2006م– بل وصل بإسرائيل القيام بأعمال معاكسة للمصالح الأمريكية، حيث باعت تكنولوجيا عسكرية أمريكية لأعداء محتملين مثل الصين، كما تقود عمليات تجسس على الأرض الأمريكية، أو تستخدم الأسلحة الأمريكية بطرائق تنتهك القانون الأمريكي،

مثل استخدام القنابل الانشطارية في حرب لبنان عام 2006م؛ في المقابل كانت تعرقل بدعم اللوبي حكومة ريغان ضد صفقة طائرات الأواكس المقترحة للسعودية في عام 1981م.

أما الدعم الدبلوماسي فما بين 1972م إلى 2006م استخدمت أمريكا حق النقض ضد 42 قرارا لمجلس الأمن ندد بإسرائيل، وخارج مجلس الأمن تدعم أمريكا إسرائيل بشكل روتيني، كلما قررت الجمعية العامة إدانتها، وكذلك في الوكالات الدولية، كالطاقة الذرية التي وقفت ضد قرار بإثارة مسألة الترسانة النووية الإسرائيلية.

يتضح من خلال الطرح السابق أن حجم المساعدات ونوعها لإسرائيل متشعبة، فهي لا تتوقف على الدعم المباشر اقتصاديا وعسكريا ودبلوماسيا في وأقات السلم أو الأزمات بل يتعدى ذلك إلى الآتي:

1- الاستثمار في الدعم الاقتصادي/ المالي نفسه للحصول على فوائد إضافية لإسرائيل.
2- الدعم الإضافي من جراء توقيع اتفاقية مع طرفٍ معادٍ للإسرائيلي أو مشاركتها أو مساندتها لحرب تخوضها الولايات المتحدة دوليًا.
3- الدعم الذي يأتي في شكل هبات من المواطنين بشكل غير رسمي.
4- تجاوز الدعم العسكري والارتباط مباشرة بالمؤسسات الدفاعية والاستخباراتية الأمريكية.
5- تعدّ إسرائيل قاعدة عسكرية متقدّمة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط لها القدرة على استخدام الترسانة العسكرية الموجودة على أراضيها في الحالات الطارئة.

الفصل الثاني (إسرائيل: ورقة استراتيجية أو عبء)

يتفحص هذا الفصل الحجة التي تقول بأن إسرائيل تستحق الدعم غير المحدود؛ لأنها ورقة استراتيجية قيمة، التي ربما تكون صحيحة في أثناء الحرب الباردة، بينما الآن تشكل عبئًا استراتيجيًّا، فعلاقة الدعم غير المشروط لإسرائيل يعقد علاقة أمريكا ببلدان أخرى حول العالم، ويكلّفها تحديات اقتصادية وسياسية باهظة.

- **إسرائيل ورقة استراتيجية (المبررات):**

جادل باحثون من أمثال أورغانسكى بأن إسرائيل أصبحت ورقة استراتيجية رئيسة في الحرب الباردة، وبأن المساعدة الأمريكية السخية تشكّل صفقة رابحة، إذا ما أخذت المكاسب التي حققتها لأمريكا

في الاعتبار، وتؤكد الأيباك بأنها "شراكة استراتيجية عميقة تهدف إلى مواجهة التهديدات المشتركة للدولتين"، ثم يصف مشروع القرن الأمريكي للمحافظين الجدد إسرائيل بـ "أشد حلفاء أمريكا غيرة ضد الإرهاب الدولي"، وتقول المؤسسة اليهودية لشؤون الأمن القومي إن "التعاون الأمريكي– الإسرائيلي الاستراتيجي يمثل عصرًا حيويًّا في المعادلة الأمنية الشاملة للولايات المتحدة" بينما يرى الإسرائيليون أن المساعدة الإسرائيلية تدعم السلام الأمريكي في شرق المتوسط، كما أنها حليف استراتيجي بسبب موقعها الاستراتيجي واستقرارها السياسي، بالإضافة إلى قيمتها التكنولوجية والعسكرية، أيضًا يقال إن الدعم الراسخ لإسرائيل هو انعكاس للمصالح الاستراتيجية الأمريكية العليا خاصة إبان الحرب الباردة، رغم أنها لم تكن ذات ورقة استراتيجية عند إنشائها عام 1948م نتيجة لضعفها وتعرضها للتهديد، وكان دعم قرار التقسيم ليس مطلبًا استراتيجيًّا، بل هو تعاطف حقيقي مع المعاناة اليهودية، وقناعة دينية معينة بأنه من المرغوب فيه السماح بعودة اليهود إلى موطنهم القديم، لكن منذ تحقيق الانتصارات الإسرائيلية في حروبها ما بين عامي 1948– 1967م التي أذهلتهم وجعلت الإسرائيليين يقرّون بإمكانية قيمتهم حليفًا استراتيجيًّا، ومن ثم رأى رئيس الولايات المتحدة السابق نيكسون في الدعم المتزايد لإسرائيل وسيلة فعّالة لمواجهة النفوذ السوفياتي عبر المنطقة، واتخذ صورة إسرائيل، بوصفها ورقة استراتيجية جذورها في السبعينيات (بعدما أثمرت في قطع الرئيس المصري السابق أنور السادات علاقته مع السوفيات، واصطف مع أمريكا، أيضا في إعطاء أمريكا معلومات استخبارية حول القدرات السوفياتية، كذلك التنسيق مع خبراء إسرائيليين حول مكافحة الإرهاب).

إسرائيل عبءٌ استراتيجيٌّ على لولايات المتحدة:

دفع التزام أمريكا بإسرائيل بعض الدول العربية، مثل (مصر وسوريا والعراق) إلى أحضان موسكو، كما أن هذا أذكى أيضًا الصراع العربي الإسرائيلي، ومنع التقدم في اتجاه التسوية، وأسهم في نشوء العداء لأمريكا في العالمين العربي والإسلامي في الستينيات والسبعينيات، وفى بروز التطرف العربي والإسلامي، كذلك أسهم دعم إسرائيل في حظر النفط إبان حرب أكتوبر، وخسارة أمريكا 48.5 مليار دولار عام 1974م، كما أصحبت إسرائيل ثقلا استراتيجيًّا في حرب الخليج لعام 1991م، فأقصى ما ترغب فيه أمريكا من إسرائيل عليها البقاء خارج النزاع.

عليه، فإن مساهمات إسرائيل في الحرب الباردة مفيد، لكن يجب عدم المبالغة في أهمية قيمتها الاستراتيجية؛ وهذا الأمر خلص إليه العالم السياسي برنارد ريتش من جامعة جورج واشنطن عام 1995م، إذ قال إنّ "لإسرائيل أهمية عسكرية واقتصادية محدودة للولايات المتحدة.. إنها ليست دولة حيوية استراتيجيًّا".

مبررات استمرار الدور الاستراتيجي الإسرائيلي ما بعد الحرب الباردة والرد عليها:

استغلت إسرائيل أحداث سبتمبر لتبرير استراتيجي رئيس للدعم الأمريكي لإسرائيل بوصفهما أصبحتا الآن شريكتين ضد الإرهاب، وبوصف السند العقلاني الجديد أنهما عرضة لتهديد المجموعات الإرهابية نفسها، ومن خلال زمرة من الدول المارقة تدعم المجموعات، وتسعى إلى الحصول على أسلحة دمار شامل، وبأن مرد هذا العداء لإسرائيل والولايات المتحدة هو النفور من قيم الغرب اليهودية المسيحية، وثقافته ومؤسساته الديمقراطية. وهنا على واشطن إطلاق يدها في التعاطي مع الفلسطينيين وحزب الله – يقول رئيس وزراء إسرائيل السابق شارون في زيارته لأمريكا بنهاية عام 2001م "أنتم في أمريكا تخوضون حربًا ضد الإرهاب، ونحن في إسرائيل نخوض حربا ضد الإرهاب، إنها الحرب نفسها"، أيضا يؤكد رئيس الوزراء السابق نتنياهو لمجلس الشيوخ الأمريكي عام 2002م "إذا لم يتم وقف الإرهاب لدينا؛ فإنه سوف يتوجه إليكم، أيضًا في عام 2006م، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود أولمرت أمام الكونغرس" أن بلدينا لا يتشاطران فقط الخبرة والألم من الإرهاب، بل نتشارك أيضًا في الالتزام والتصميم على مواجهة الإرهابيين الغاشمين الذين أخذوا هؤلاء الأناس الأبرياء منا ".

في الطرف الأمريكي، وجدت هذه الرواية تفاعلًا لدى صناع القرار في الولايات المتحدة (مثلًا: يقول المدير التنفيذي لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى: لماذا على أمريكيا الاستمرار في دعم إسرائيل بعد 9/11؛ ويرد بأن هناك قيمًا مشتركة بيننا، وتهديدًا مماثلًا للإرهاب لبلدينا، بينما السيناتور تشارلز شومر في ديسمبر 2001م يشبّه منظمة التحرير الفلسطينية بطالبان، وعرفات بالملة عمر، بالنسبة لأمريكا)، كانت نتائجه تمرير الكونغرس قرارين شبه متطابقين، يعلنان أن أمريكا وإسرائيل منخرطتان الآن في كفاح مشترك ضد الإرهاب.

إنّ السند العقلاني الاستراتيجي الجديد "الإرهاب" بأن الإرهابيين الذين هاجموا أمريكا في 9/11 يشكلون جزءا من حركة عالمية حسنة التنظيم، تستهدف إسرائيل أيضا، هذا أمرٌ مغلوطٌ؛ لأن الإرهاب ليس منظمة أو حركة أو عدوًّا يمكن مهاجمته، كما أن حزب الله وحماس لا يهاجمان أمريكا؛ لأن أهدافهم محلية ضد إسرائيل، كما أن ابن لادن لم يرتبط بالمجموعات الفلسطينية، بل استغل القضية فقط لكسب التأييد العالمي، كذلك تعد منظمة التحرير ذات توجه علماني ووطني، أما عن أعمال المنظمات الفلسطينية، فهي جاءت ردّ فعل على الحملة الإسرائيلية الطويلة لاستعمار الضفة وغزة واحتلالهما.

بناء على هذا السند العقلاني الواقعي؛ فإن ما تواجهه أمريكا من إرهاب سببه دعمها الطويل لإسرائيل وسياساتها الوحشية تجاه الفلسطينيين، وأيضا دعمها للأنظمة العربية الدكتاتورية، وتدخلاتها العسكرية المتكررة في المنطقة؛ كل هذا خلق صورة سيئة لأمريكا، وتعاطفًا مع القاعدة، ففي مسح أجري عام 2004م في الأردن بين أن 3 % يحملون صورة طيبة لبوش، وأن 55 % لابن لادن، كما استنتج تقرير 2004م لمجلس العمل الدفاعي في البنتاغون أن: المسلمين لا يكرهون حريتنا، بل إنهم بالأحرى يكرهون سياستنا " في أبريل 2004م، بعث 52 دبلوماسيًّا برسالة إلى طوني بلير قائلين إن النزاع بين إسرائيل والفلسطينيين" "سمم العلاقات بين الغرب والعالمين الإسلامي والعربي"، في دراسة للحزبين في ديسمبر 2006م تقر بأنه "لن يكون في وسع الولايات المتحدة تحقيق أهدافها في الشرق الأوسط إلا إذا أعطت الأولوية لحل النزاع العربي الإسرائيلي".

الخلاصة، أن معاملة إسرائيل على أنها حليف مهم في الحملة ضد الإرهاب، وضد خليط من الديكتاتوريات الشرق أوسطية مبالغ فيه؛ لأن قيمتها تراجعت منذ نهاية الحرب الباردة، وأن الدعم لإسرائيل يقوّض علاقة أمريكا بحلفائها الآخرين، ويلقي الشك على رؤيتها الأخلاقية، كما أن إسرائيل لا تتصرف أحيانا بوصفها حليفًا، وتتعامل مع أطرف معادية للولايات المتحدة، مثل إيران والصين ومدهما بأسلحة متطورة، إضافة إلى تجسسها على أسرار عسكرية أمريكية.

الفصل الثالث (قضية أخلاقية متراجعة)

تعد الأسس العقلانية والأخلاقية والعقائدية الداعمة لموقف إسرائيل من قبل صناع القرار الأمريكي الذي قبلها مثل اشتراكهما في قيم الديمقراطية، بمنزلة دعاية لتبرير المستويات غير العادية

من المساعدة غير المشروطة، ما يشكل تبريرا غير إيجابي؛ يقول الخبير الاستراتيجي الإسرائيلي "شاي فلدمان" إن علاقة أمريكا بإسرائيل نابعة من تعاطف ما بعد المحرقة، والقيم السياسية المشتركة وصورة إسرائيل المستضعفة، والروابط الثقافية المشتركة، ودور الديانة اليهودية في السياسات الأمريكية؛ كما تحدث بوش في المؤتمر السنوي للأيباك في مايو 2004م مستحضرًا المواضيع الأخلاقية لدعم إسرائيل: (كلانا ولد من صراع وتضحية، وأنشأنا معا على أيدي مهاجرين هاربين من الاضطهاد الديني في ديار أخرى، وبنى كل منا ديمقراطية حيوية على قاعدة حكم القانون واقتصاد السوق، ونشأنا على معتقدات أساسية معينة: الله يراقب شؤون الإنسان، ويقدر كل حياة، وقد جعلت هذه الروابط منا حليفين طبيعيين)؛ وهذا ما دعمته طائفة للإنجيليين التي ترى في: إقامة إسرائيل نبوءة توراتية، وأن الله أعطى أرض إسرائيل لإبراهيم وذريته واليهود باستعمارهم الضفة الغربية إنما يستعيدون ما أعطاهم إياه الله، وبأن إقامة إسرائيل الكبرى حدث يؤدي للمعركة النهائية لنهاية العالم. أيضًا من المبررات الأخلاقية (أن إسرائيل دولة ديمقراطية ضعيفة ومحاطة بأعداء كرسوا أنفسهم لتدميرها، بينما سلوك الفلسطيني رافض للسلام السخي من إسرائيل في كامب ديفيد 2000م واختاروا العنف.

لكن في المقابل، يعتمد السند العقلاني الأخلاقي إلى فهم معين لتاريخ إسرائيل، وكيف نشأت دولتهم؛ لأنها تستند إلى أساطير حول أحداث سابقة، كما أنهم إذا هم كانوا ضحايا في الماضي، فهم الآن جلادون ومحتلون وأقوياء عسكريًّا، وغير ديمقراطي اتجاه السكان العرب، ففي عام مايو 2003م بينت مؤسسة الديمقراطية الإسرائيلية أن 53% من الإسرائيليين يعارضون المساواة الكاملة للعرب، إلى جانب رفضهم منح الفلسطينيين دولة لهم، من خلال استمرارهم في فرض نظامها القضائي والإداري والعسكري في الأراضي المحتلة، ومن ثم فهي ديمقراطية لمواطنيها اليهود، وما يسوقه السند الأخلاقي بالاضطهاد من الغرب المسيحي والمحرقة التي أكسبتهم تعاطفًا في أن يكونوا دولهم ويلقون الدعم الأمريكي أغفل جرائمهم تُجاه الفلسطينيين؛ وبأن إنشاء دولتهم أظهر مدى التطهير العرقي للفلسطينيين، وفيما بعد في قمع الانتفاضات، وحروبها فيما بعد مع العرب.

الخلاصة، أن المبررات لدعم إسرائيل من قبل صناع القرار في الولايات المتحدة اعتمدت على قيم أخلاقية وعقائدية، مثل القيم الديمقراطية، والمشاركة في التاريخ والاضطهاد والنبوءات الدينية المشتركة في إقامة دولتهم، وبالقابل أغفلت المبررات العمل العدائي والحقوقي تجاه الفلسطينيين.

الفصل الرابع (ما هو اللوبي الإسرائيلي)

هنا في هذا الفصل تُحدّد مكونات اللوبي وكيفية تطوره، وتأكيد أنه ليس حركة واحدة موحدة، بل مجموعة عناصر مختلفة أحيانًا على بعض المسائل، فهو يتضمن يهودًا وغير يهودٍ، بمن فيهم المسيحيون الصهاينة (المحافظون الجدد)، كما يُسلّط الضوء على المجموعات العربية الأمريكية أو ما يسمّى اللوبي النفطي، وضعف نفوذهم أمام ما يمارسه اللوبي اليهودي.

يعرف اللوبي بأنه ائتلاف لأفراد ومنظمات تعمل بنشاط لصياغة السياسة الخارجية الأمريكية في اتجاه موال لإسرائيل.

خصائص اللوبي الإسرائيلي وسماته:

1. اللوبي ليس حركة موحدة ذات زعامة مركزية، والأفراد والمجموعات الذين يشكّلون هذا الائتلاف الواسع يختلفون أحيانًا على مسائل سياسية محددة.
2. اللوبي ليس مؤامرة، بل يعمل في العلن، ولا يمكن تحديد حدوده بدقة.
3. ليست منظمة مركزية تراتبية ذات عضوية محددة، فلا توجد بطاقات عضوية.
4. هو ذو جوهر مؤلف من منظمات غايتها المعلنة تشجيع الإدارة الأمريكية والجمهور الأمريكي على توفير مساعدة مادية لإسرائيل، ودعم سياسات حكومتها.
5. يضم أفرادًا ذوي نفوذ، وتشكل هذه الغايات أفضلية أولى لديهم أهمها: (الأيباك أي لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، والرابطة المناهضة للتشهير، والمسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل، والأمريكيون من أجل إسرائيل آمنة، ومؤسسة بروكينغز، ومراكز أبحاث وفكر، مثل المؤسسة اليهودية لشؤون الأمن القومي، ومنتدى الشرق الأوسط، والأفراد الذين يكتبون الرسائل الداعمة لإسرائيل في صفحاتهم المحلية، أو الذين يبعثون بالشيكات إلى لجنة العمل السياسية مؤيدة لإسرائيل بوصفهم شبكة أوسع من المؤيدين، والأفراد الذين يعملون بالجامعات،

وعشرات لجان العمل السياسي المالية التي تحول الأموال للمرشحين الموالين لإسرائيل، والاتصالات الشخصية بين مسؤولين حكوميين ذوى نفوذ).

إن على المرء، ليكون جزءا من اللوبي، أن يعمل بنشاط لتحريك السياسة الخارجية الأمريكية في اتجاه مؤيد لإسرائيل، كتكريس جزء من نشاطه المهني أو الشخصي والمالي للتأثير في السياسة الخارجية الأمريكية، مثلا: التصويت للمرشحين الموالين لإسرائيل، وكتابة رسائل إلى السياسيين والمؤسسات الإخبارية، وتقديم مساهمات مالية للمرشحين الموالين لإسرائيل، وإعطاء دعم فعال لمنظمة موالية لإسرائيل، ومناهضة الانتقاد العام، مثل الهجوم على مجموعة الأمريكيين اليهود التقدميين الذين يدعون للتسوية السلمية.

المحافظون الجدد ومشروع القرن الأمريكي:

هؤلاء يرتبطون بمجموعات متداخلة من مراكز التخطيط المتمركزة في واشطن، واللجان والمنشورات التي تتضمن برامجها التسويق للعلاقات الخاصة بين أمريكا وإسرائيل، وتحريك دعاية بنشاطات من أجل صياغة الرأي العام والنخبة، ومن ثم تحريك السياسة الخارجية في الاتجاهات التي تحابيها.

يطلق على المحافظين الجدد أحيانا المسيحيين الصهاينة، الذين استندوا إلى تفسير الكتاب المقدس عبر الإيمان بعودة المسيح، وأن عودة اليهود إلى فلسطين تشكل حدثًا أساسيًّا ومفصليًّا في العملية المقدرة التي ستؤدي إلى المجيء الثاني للمسيح، وتأسيس دولة إسرائيل. فهذه الجماعة عدّت احتلال إسرائيل للأراضي العربية عام 1967م قدرًا إلهيًّا، ووصفت انسحاب رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق شارون من غزة بالعقاب الإلهي، كما كان لهم دور في السياحة المسيحية لإسرائيل تحت الرعاية الإنجيلية.

قوة اللوبي:

الطبيعة المفتوحة للنظام السياسي الأمريكي والفيدرالية وحرية التعبير، هذه وسائل تعطي اللوبي الإسرائيلي وسائل الوصول للسياسة الأمريكية والتأثير فيها وتوجيه الحملات الانتخابية، أيضا لها وسائل لقلب الرأي العام عبر رعاية الصحافة المتعاطفة وتأليف الكتب والمقالات، والعمل على تشويه سمعة كل من له وجهة نظر مختلفة أو تهميشه.

ضعف النفوذ لجماعات المصالح الصغيرة كالعربية في الولايات المتحدة الأمريكية:

إن النفوذ غير المتناسب لمجموعات المصالح الصغيرة والضعيفة تعطي للسياسيين المساندة لمجموعاتهم القوية في ظل غياب معارضة فاعلة لهم؛ فالعرب الأمريكيين أسباب ضعف تأثيرهم في السياسة الأمريكية يرجع إلى:

1. أنهم ليسوا بنفس الثراء والتنظيم الجيد والعدد والنشاطات السياسية، فلم يبلغوا مناصب أكاديمية أو إعلامية أو سياسية.
2. إن العرب ينحدرون من خلفيات وبلدان وديانات ومذاهب متنوعة، لذا لن يتحدثوا بصوت واحد، بل وجهات نظر مختلفة حول الشرق الأوسط، إلى جانب ثقافتهم الغريبة أو المعادية لأمريكا.
3. إن النفط لا يشكّل تأثيرًا قويًّا مقابل اللوبي، بدليل فرض عقوبات على إيران والعراق وليبيا، وإن شركات الطاقة الأمريكية أولوياتها تكمن في التغير المناخي والتنقيب والتجارة والضرائب والوقود والإنتاج وأمن البلاد، وهنا لا توجد إشارة للصراع العربي الإسرائيلي، إلى جانب استهداف اللوبي لهذه الشركات في مسألة الشرق الأوسط، فهي لا تحبذ الحروب والعقوبات ولا تغيير الأنظمة.

بالمقابل فإن قوة الطائفة اليهودية يكمن نفوذها في السياسة والاقتصاد، وفي قدرة بعض المثقفين وتقاليدهم في جمع التبرعات ودعمهم الأحزاب، ونسبتهم في المشاركة السياسية نتيجة لتركزهم في مناطق معينة، كما المستوى المؤثر من الموارد والخبرة داخل المنظمات اليهودية في اللوبي، استنادا إلى لمفكر السياسي روبرت ترافيس، يكمن في أنّ (معظم المجموعات اليهودية تتميز بعضوية كبيرة وبموظفين محترفين ذوي تدريب عال وبرامج اجتماعية ورفاهية وأهداف سياسية كافية التمثيل ومجموعات عمل متخصصة في مشاكل كثيرة على المستوى المحلي والوطني؛ وهذا ما يفسر قدرة الحركة المؤيدة لإسرائيل على التعبئة السرية بطريقة منسقة على المستوى الوطني عندما تبرز مسائل سياسية خارجية مهمة)، ومن ثم تسهل هذه الجهود تسويق صورة إسرائيل الخيرة بشكل عام في أمريكا.

يلاحظ مما سبق أن كلمة اللوبي غير محددة بجماعة أو تنظيم، فهي قد تشمل تنظيماتٍ أو أفرادًا سواء في مراكز قيادية سياسية واقتصادية وثقافية، أو نخب، أو حتى مواطنين عاديين، ومن ثمّ فاللوبي اليهودي امتلك هذه المقومات، ما جعله مؤثرا في السياسة الأمريكية، بعكس جماعات المصالح الصغيرة،

ومنها العربية التي تفتقر للتنظيم، ووحدة الصف، والتنظيمات، والنخب، والسياسيين، والدعم المالي والإعلامي.

الفصل الخامس (توجيه العملية السياسية)

إنّ استراتيجية اللوبي اليهودي تكون في التشجيع على الدعم الأمريكي الثابت لإسرائيل عبر نفوذهم على عملية صناعة السياسة الأمريكية، وأيضًا عبر ضمان أن الخطاب العام حول إسرائيل مؤيد، ويردّد صدى السند العقلاني والاستراتيجي والأخلاقي.

نفوذهم في الكونغرس:

العنصر الأهم في الكونغرس يتمثل في لجنة للخارجية المؤلفة من أنصار إسرائيل؛ أما العمل في الكونغرس فيأخذ مسارات عدة، منها:

1. الرسائل التي يقدمها ويوقع عليها الأعضاء المؤيدون لإسرائيل.
2. مشاركة الموالي لإسرائيل مباشرة في العملية السياسية، ومساعدتهم للموظفين على وضع مسوّدات التشريعات.
3. كتابة رسائل للمشرعين التي يرسلونها إلى بعضهم، أو كتابة رسائل مفتوحة وتوزيعها.
4. الدعم المالي في الانتخابات المباشرة أو غير المباشرة، أو عبر تطوير شبكة وطنية من لجان العمل السياسي اليهودية للمساهمة في التمويل. وهذا الأمر ينطبق على الانتخابات الرئاسية؛ اذ يقدم اليهود التبرعات الكبيرة لحملات المرشحين من الحزبين المقدرة بحسب الواشنطن بوست بنسبة 60% من حجم التبرعات.
5. تجتمع الأيباك مع المرشحين الموالين لإسرائيل، وتشرح لهم تعقيدات الموقف الإسرائيلي والشرق الأوسط (المفتاح الانتخابي المحلى) أيضًا تستعين بالبعثات الإسرائيلية الدائمة في واشطن لأخذ معلومات عن الأشخاص الموالين لإسرائيل، وبعد حصرهم تتأكد من أن المرشح مواليًا لها حتى تعطيه قائمة بأمريكيين مؤيدين لإسرائيل للتواصل معهم.
6. يركز اللوبي على المنتقدين لإسرائيل؛ لتغيير توجهاتهم إلى مؤيدين، مثل السناتور جيسي هيلمز الذي ينتقد المساعدات الأمريكية لإسرائيل، ففي أثناء انتخابه عام 1984م قامت الأيباك بدعم

المنافس له، وهو ما أدى إلى فهم الرسالة، وسافر إلى إسرائيل، وبقي مؤيدًا إلى أن تقاعد عام 2000م.

الفصل السادس (السيطرة على الخطاب العام)

هذا الفصل يتناول الاستراتيجيات المختلفة التي تستخدمها مجموعات اللوبي، بهدف تقديم مصالح إسرائيل في أمريكا، من خلال العمل داخل الكونغرس، أو عبر الحملات الانتخابية، أو الإدارات التنفيذية، أو وسائل الإعلام والأكاديميين، أو مراكز البحث والتخطيط للسياسة الخارجية ذات النفوذ، أو التكتيكات المستخدمة لإسكات المنتقدين باتهامهم بالمعاداة لإسرائيل او السامية.

إنّ مؤسسات اللوبي – من مراكز دراسات وتخطيط ومؤسسات أكاديمية وجامعية ووسائل إعلام– تلعب دورًا في تكوين الرأي العام؛ لتصوير إسرائيل بإيجاب دائمًا، وتهميش من يشكك في سلوك إسرائيل في الماضي والحاضر، أو يسعى إلى إلقاء الشك في فوائد الدعم الأمريكي غير المشروط لها، ومن الأمثلة على ذلك، نذكر:

1. وسائل الإعلام الممثلة في المالكين، الناشرون، المحررون، كاتبو المقالات، المراسلون، في صحف الواشطن تايمز، شيكاغو، صن تايمز مثلا، تجد في افتتاحياتها كأنها تتبع صحافة رئيس وزراء إسرائيل.
2. تنظم مجموعات اللوبي حملات كتابة رسائل ومظاهرات ومقاطعة ضد وسائل الإعلام التي يعدّ محتواها مناوئًا لإسرائيل، فقد قال أحد المديرين التنفيذيين في "السي – إن –إن" إنه يتلقى أحيانا 6000 رسالة بريد إلكتروني تشتكي من أن موضوعا ما معادٍ لإسرائيل.
3. يستخدم اللوبي لتشجيع التغطية الموالية لإسرائيل في اختيار معلقين مرموقين؛ ليقوموا معًا بنشر نظريات وأفكار مواتية لإسرائيل، ولتحقيق هذه الغاية، ساعد مؤتمر الرؤساء على إنشاء "الأصوات الأمريكية في إسرائيل" هدفها تقوية التفهم الأمريكي والدعم لإسرائيل من خلال دعوة مضيفي برامج الحوار الإذاعي في أمريكا إلى رؤية إسرائيل وإذاعة برامجهم حية من القدس.
4. مراكز الأبحاث: تقوم بدور متزايد في صياغة النقاش العام، بالإضافة إلى السياسة الواقعية حول مسائل أساسية، وتعتمد وسائل الإعلام على خبراء من مراكز الدراسات التي تمتلك مكاتب حيوية

للعلاقات العامة والعلاقة مع الصحافة، مصممة لتسويق وجهات نظر خبراتها في الساحة العامة، كما توزع المراكز أيضا مذكرات مختصرة يسهل استيعابها على المشرعين وغيرهم من المسؤولين، إضافة إلى تشجيع محلليها على نشر مقالات رأي داعمة ومناصرة لإسرائيل، من أهم هذه المراكز معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ومركز بروكينغز الذي يدار من منتدى سابين لسياسات الشرق الأوسط، يجمع زعماء أمريكيين وإسرائيليين بارزين.

5. شرطي الأكاديميات: بعد إثارة الانتقادات ما بعد انهيار عملية أوسلو، ومجيء شارون لرئاسة الوزراء في إسرائيل، تحرك اللوبي لاستعادة الحرم الجامعي، وشرع عبر مؤسسات عدة، كالمجلس اليهودي للشؤون العامة، في سلسلة دورات التدريب لمناصرة طلاب المعاهد التي أرادت الدفاع عن إسرائيل في حرمهم، وأنشئ ائتلاف إسرائيل في الحرم الجامعي للتنسيق مع 26 مجموعة تسعى للهدف نفسه، أيضًا دعت الأيباك عام 2003م طلابًا يقدرون بحوالي 240 طالبا في رحلة لواشنطن للتدريب على المناصرة، وإعطاء تعليمات بأن يعمدوا فور عودتهم إلى المدرسة إلى إقامة شبكات اتصال مع القادة من كل التيارات في الحرم، وكسبهم إلى جانب قضية إسرائيل، وفي عام 2007م حضر مؤتمر الأيباك عدد 1200 طالب من 400 جامعة، ومعهد للمؤتمر السنوي لها بمن فيهم 150 من رؤساء اتحادات الطلبة، كما تدخل البعثات الدبلوماسية في توجهات المؤسسات الأكاديمية، فمثلًا تدخل القنصل الإسرائيلي في شيكاغو، والسفير الإسرائيلي في جامعة واشنطن، وطالب منها تحسين صورة إسرائيل في الحرم الجامعي؛ كما حاولت مجموعة أكاديمية موالية لإسرائيل منع نشر أعمال بحثية تشكك في وجهات نظرها المحددة في 1998م، وقفت ضد نشر كتاب لنورمان فنكلشتاين وروث بتين بيرن "أمة قيد المحاكمة".

من خلال ما سبق ذكره، يتضح أن عمل اللوبي داخل المؤسسات الأمريكية كان منظمًا، ويعتمد على مجالات عدة، أهمها الإعلامية والأكاديمية التي تهدف إلى تشكيل الرأي العام في الولايات المتحدة، وتوجيهه لمناصرة إسرائيل، وبالمقابل استهداف كل من ينتقد إسرائيل وسياساتها في المنطقة.

الفصل السابع (اللوبي في مواجهة الفلسطينيين)

يتحدّث في هذا الفصل، وما يليه من الفصول التالية، عن دور اللوبي في صياغة سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

إن هدف اللوبي الحفاظ على المساعدة الأمريكية لإسرائيل، وضمان استخدام القوة لتدجين بيئة الشرق الأوسط بوسائل تقدم مصالح إسرائيل، وبخاصة في مجال الأمن ودعم إسرائيل في سياستها ضد الفلسطينيين، وتوجيه القوة الأمريكية صوب حركات أخرى، ودول قد تكون على خلاف مع إسرائيل، وهذا الأمر يوضح كيف أن أمريكا ساندت، على الدوام، جهود إسرائيل لقمع التطلعات الوطنية الفلسطينية بإقامة دولتهم المستقلة أو الحد منها.

رغم محاولة الرئيس الأمريكي جورج بوش، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، إزالة العداء لأمريكا، وتشكيل تحالف ضد الإرهاب، والشروع في عملية السلام في الشرق الأوسط، فإنه واجه بالمقابل تعنتًا إسرائيليًّا غيّر موقفه، حتى وصفته صحيفة الواشنطن بوست بالتطابق الوشيك بين السياستين الأمريكية والإسرائيلية اتجاه الشرق الأوسط، وكان وراء هذا بالطبع اللوبي، فقد حاولت إسرائيل، ومعها اللوبي، التشبيه بين الحرب على الإرهاب في العالم، وحربهم في الشرق الأوسط، وأنهما يخوضان حربًا واحدة، واستطاعوا تمرير قرارات في مجلس الأمن يؤكد الدعم لإسرائيل، وانخراطهما في الحرب على الإرهاب، وفي المقابل وقف الكونغرس بضغط اللوبي ضد خطط الرئيس للضغط على إسرائيل في مسألة السلام (من خلال رسائل مفتوحة، قرارات في الكونغرس، مقالات رأي وبيانات صحفية، لقاءات مباشرة بين مسؤولين في الإدارة وزعماء المجموعات اليهودية والإنجيلية النافذة).

الخلاصة: أن جماعات اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة تستغل الأحداث العالمية والإقليمية، وبخاصة ذات العلاقة بمنطقة الشرق الأوسط لتوظيفها واستخدامها لدعم الحملات القمعية التي تقوم بها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، والحصول على الدعم المستمر، وتوحيد السياسات الخارجية مع الولايات المتحدة، خاصة إذا كان عنوانها الإرهاب الدولي.

الفصل الثامن (العراق وأحلام تحويل الشرق الأوسط)

يتحدّث هذا الفصل عن دور اللوبي، وبخاصة المحافظون الجدد فيه، بوصفه قوة دافعة ورئيسة وراء قرار إدارة بوش غزو العراق في عام 2003م، والحجج التي ساقوها لدعم الغزو، مثل إزالة البرنامج النووي العراقي، وتدمير مخزون الأسلحة البيولوجية والكيميائية، والدافع من ورائها، وهو جعل إسرائيل أكثر أمنًا، فأكثروا من الربط بين إسرائيل وحرب العراق، حتى كتب الصحفي مايكل كنسلي في خريف 2002م أن "غياب النقاش العام حول دور إسرائيل أشبه بالفيل في الغرفة يراه الجميع ولا يذكره أحد".

بدا الحديث عن الحرب من الساسة الإسرائيليين أمثال آرئيل شارون في فبراير 2001م "إذا اعتقد أن العراق يشكل تهديدا للاستقرار الإقليمي، بسبب السلوك الضال وغير المسؤول لنظام صدام"، وجاء بنيامين نتانياهو وقال لأعضاء بالكونغرس "إن صدام يطور أسلحة نووية قد يستخدمها ضد الأراضي الأمريكية" ثم جاء شيمون بيريز وربطه بخط ابن لادن، ليختم هذا التحريض من قبل جماعة اللوبي أمثال المحافظين الجدد مثل بول لفوفينز بدعم الخيار العسكري ضد العراق، ويوثقون تقارير استخباراتية لكسب الدعم للحرب، والحصول على معلومات من فريق المعارضة العراقية أمثال الشلبي.

في هذا الفصل، يتجاوز دور اللوبي الدعم للسياسة الإسرائيلية إلى التحريض على التدخل العسكري المباشر في الدول والأنظمة المعادية لإسرائيل؛ بغية القضاء عليها، وهذا ما حصل في العراق والدور الذي قام به اللوبي والمحافظون الجدد لتسويق التقارير التي تفيد بخطر النظام العراقي على الأمن العالمي، وضرورة التدخل لتقويض قوته، وتطويع نظامه، في إطار مشروع السلام في الشرق الأوسط.

الفصل التاسع (استهداف سوريا)

يصف الفصل التاسع تطور علاقة أمريكا الصعبة مع نظام الأسد في سوريا، وكيف أن اللوبي دفع بأمريكا إلى تبنّي سياسات تصادمية حيال سوريا، تتوافق مع إرادة الحكومة الإسرائيلية.

ورغم ما قامت به سوريا من مساعدات استخباراتية لأميركا في الحرب على الإرهاب، والبدء في دخول حكومة بوش بتاريخ ديسمبر 2006م في علاقات معها، فإن تدخل اللوبي عمل على الدفع بالعلاقات إلى التصادم بين البلدين، فبعد سقوط بغداد تحول الزعماء الإسرائيليون إلى سوريا بحجج نقل الرئيس العراقي صدام حسين تجهيزات عسكرية لسوريا قبل الحرب، والتحذير من أسلحة الدمار الشامل،

ودعم المقاومة العراقية والجماعات الفلسطينية واللبنانية، فتحوّل دور اللوبي إلى توجيه الاتهام لها، فكانت نتائج نفوذه لدى صانع القرار الأمريكي هي في وضع سوريا في قائمة محور الشر وإصدار قانون محاسبة سوريا.

الفصل العاشر (إيران في المرمى)

بعد الثورة الإيرانية عام 1979م، وإعلان العداء لإسرائيل، بدأ اللوبي يقوم بدور في السياسة الأمريكية حيال إيران، مركزين الضغط على برنامجها النووي، ودعمها للحركات المسلحة، كحماس والجهاد الإسلامي وحزب الله، وعلى تأليب بعض الدول عليها، مستغلة مخاوف دول الخليج من إيران، ففي عام 2003م بدأت أمريكا تحذّر من أن إيران تشكل تهديدا خطيرا لإسرائيل وأمريكيا على السواء، وشروعها في البرنامج النووي، ثم وزعت الأيباك دراسة من 74 صفحة تحتج بأن إيران تشكّل خطرًا على أمريكا والغرب في عام 1994م، ومن ثم كان اللوبي وراء مشروع قانون دماتو الخاص بالشركات النفطية في 1996م، كما قوّض مشروع التفاوض مع إيران عام 2006م، ووقف لسياسة الخاتمي الانفتاح مع أمريكا، وعمل على فرض عقوبات دولية على إيران أعوام2005,2007، بل وصل الأمر إلى الدعوة لضرب إيران في مؤتمر الأيباك عام 2007م للقضاء على القدرة النووية الايرانية من أجل خلاص الحضارة الغربية.

الفصل الحادي عشر (اللوبي والحرب اللبنانية الثانية)

بعد أسر حزب الله اللبناني جنود إسرائيليين عام 2006م أعلنت إسرائيل الحرب عليه، وقد استغرقت 34 يومًا، وهناك كان الدور على اللوبي والمحافظين الجدد في الولايات المتحدة للحصول على الضوء الأخضر والدعم الدبلوماسي والعسكري لإسرائيل، وفي صدور إدانة من الكونغرس لحزب الله ومساندة إسرائيل، كما وقفت وسائل الإعلام مع إسرائيل، وكانت استراتيجية إسرائيل هي محاولة نزع سلاح حزب الله، ومعاقبة لبنان لسماحه لحزب الله بالعمل بحرية، وإنزال العقاب بالسكان، ولكن ردة الفعل كانت عكسية، إذ قتلت إسرائيل 1183مواطنا ثلثهم أطفال، وانتهكت قوانين الحرب بالقنابل العنقودية، فجاء تقرير للهيومان رايتس ووتش لتؤكد أن غالبية القتلى من المدنيين اللبنانيين وحملت انتقادات للقصف الإسرائيلي، ما أدى باللوبي لشن حملة عليها، ووجهت لها الاتهام باللاسامية، وتعرض

المدير التنفيذي لها (كينيث روث) لانتقادات على الرغم من يهوديته، ووالده لاجئ من ألمانيا النازية، ولكن نتيجة للهجمة على إسرائيل، حوّل اللوبي المسؤولية إلى السياسة الأمريكية، وبدأ الحديث بأنها حرب بالوساطة، وأن الدعم بالأسلحة الأمريكية، وأن إسرائيل نفذت ما أملته عليها واشنطن وأنها كانت فرصة لتجربة الأسلحة الأمريكية، وبمنزلة تجربة من أجل إيران.

يلاحظ ما سبق ذكره، أن دور اللوبي تحوّل لمحرّض للحرب، وداعم لها، وأنه عندما حصلت انتقادات على إسرائيل، حوّل فشلها في مهمتها إلى الداعم الرئيس لإسرائيل؛ لإلقاء التهم إليه بأنه وراء الحرب، وبأنها تخوض (أي إسرائيل) حربًا بالوكالة نيابة عن أمريكا.

الفصل الثاني عشر (ما الذي يتوجب القيام به)

في ختام الكتاب، يوجه الكاتبان نصائحهما لصانع القرار في كيفية التعامل مع اللوبي، وتدخله في السياسة الأمريكية، بالدعوة لتصحيح العلاقة بين أمريكا وإسرائيل، ثم إيجاز المبادئ الأساسية لاستراتيجية يمكنها الدفاع عن هذه المصالح بفاعلية أكبر، ومعالجة القوة السياسية للوبي وأجندته السياسية، وجعل تأثيره ذا فائدة لأمريكا وإسرائيل معًا.

الاستراتيجية الجديدة لإزالة الضرر في السياسة الأمريكية تكمن في الآتي:

1. تحديد مصالح أمريكا في الشرق الأوسط: وهي الطاقة وأماكن الحصول عليها وعدم وجود قوة تحاول السيطرة عليها.
2. ثني الدول للحصول على أسلحة دمار شامل.
3. تخفيف الإرهاب المعادي لأمريكا وتفكيك شبكاته.
4. رسم استراتيجية لحماية المصالح: عبر التخلي عن التغيير الإقليمي وتبني استراتيجية الموازنة من خلف الشاطئ، والتدخل في حالة عجز القوى المحلية على التعاطي مع التهديدات، وهذا يؤدي لتخفيف تورطها في حروب داخلية والاعتماد على حلفاء محليين.
5. تطوير علاقة جديدة مع إسرائيل، عبر مساندة وجودها، ووضع شروط على مسألة المساعدات ومعاملتها بصفتها دولة عادية عبر مصالح مشتركة.
6. إنهاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني بإقامة دولتين، والضغط على إسرائيل لإنهاء الاحتلال.

7. تحويل اللوبي إلى قوة بناءة، إما من خلال خفض موارده، وإما إزالة بعض من أسباب نفوذه عبر إصلاح المساهمات في الحملات الانتخابية، ووضع حد للتمويل السياسي، أو عبر مجموعات أخرى تحاول مقاومته بإنشاء لوبي مضاد، مثل دعم لمجموعة العربية أو الأميركيين القوميين، أو الاتجاه إلى الأكاديميات ووسائل الإعلام؛ لمواجهة مختلف حجج اللوبي عبر الانفتاح على التاريخ اليهودي لمواجه الأساطير، أو بتطوير اللوبي في اتجاه إيجابي عبر انتزاع السلطة من المتشددين داخل اللوبي وتقوية الإصلاحات داخلها.

تعقيب:

إن بداية ظهور هذا الكتاب، كانت بسبب توغل نفوذ اللوبي الإسرائيلي في صناعة القرار في الولايات المتحدة، والضرر الذي تسبب به في تقديم مصالح إسرائيل على حساب المصالح الأمريكية في المنطقة؛ فهو يعد استفاقة لدى أصحاب الفكر في أميركا، بعد انتهاء الحرب الباردة، وتقلص الدور المحوري الذي تقوم به إسرائيل في الدفاع عن مصالح الغرب.

إن هذا الكتاب ينقل فكرا مستقلًا ينادي بإعادة النظر في الدور الذي يقوم به اللوبي في السياسة الأمريكية، وضرورة تقديم مصالح أمريكا في المنطقة على مصالح إسرائيل، والبحث عن لوبيات أخرى تكون منافسة لهذا اللوبي الإسرائيلي؛ تخفف الضغط على صانع القرار، وتخلق توازنًا في المواقف تجاه المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط؛ ولكن لا يمنع بالمقابل من دعم إسرائيل والوقوف معها متى ما توافقت المصالح أو تعرض أمنها للخطر.

كما يوضح الكتاب – وفق تسلسل زمني بدأه منذ سبعينيات القرن العشرين وإلى منتصف العقد الأول من الألفية – مدى التأثير الذي يمارسه اللوبي (الذي يضم ائتلاف واسع من الأفراد والمجموعات ذات النفوذ، هدفه تقديم المساعدة لإسرائيل ودعم مواقف حكوماتها عبر استخدامه لمختلف الوسائل الممكنة لديه إعلاميًّا وسياسيًّا وماليًّا وأكاديميًّا واقتصاديًّا ودينيًّا وثقافيًّا) في السياسة الأمريكية والأساليب والطرق التي يتبعها في التأثير، أو التبرير، أو في تغيير المواقف الأمريكية، بل وصل الأمر إلى التحريض على القيام بأعمال عدوانية ضد أطراف إقليمية معادية لإسرائيل، وخوض حروب إقليميه في المنطقة لخدمة مصالح إسرائيل.